دراسات المستقبلات في الوطن العربي: الغاية, والواقع الراهن, ومدخلات التراجع

الأستاذ الدكتور. مازن اسماعيل الرمضاني
أستاذ العلوم السياسية-السياسة الدولية ودراسات المستقبلات- لندن
dr.alramadhani@yahoo.com

الملخص

يكتسب موضوع هذا البحث أهميته من أهمية دراسات المستقبلات ذاتها. وبغض النظر عن غاياتها غير المباشرة, تنحصر غايتها المباشرة في استشراف المستقبلات الممكنة والمحتملة والمرغوب فيها ذات العلاقة بموضوع الاهتمام، انطلاقا من آليات مقاربة علمية أو مجموعة منها. وهي بهذا تمهد السبيل للإنسان لصناعة المستقبل الذي يُريد, أو في الأقل المشاركة في صناعته.

ولأن المستقبل لا يقبل الانغلاق على مشهد حتمي واحد, وإنما يتميز بالانفتاح على مشاهد بديلة متعددة، يختار الانسان منها ما يريد, يضحي المستقبل, بالمحصلة, صناعة بشرية.

ومنذ بدء الأخذ به, بعد منتصف القرن الماضي, والتفكير العلمي في المستقبل ,وتطبيقاته العملية متمثلة في دراسات المستقبلات, يجد انتشاراً عالمياً وعلى شتى الصعد الرسمية وغير الرسمية, وبضمنها الجامعات تدريسا وتخصصا علمياً.

Abstract

The importance of this research stems from the importance of future studies itself, which aims at anticipating future scenes as a way to help human being craft it or participate in its making.

As indicated from its title, the research intends to define the main goals that have been achieved by Arab future studies since its inception during the mid of the last century, signalling its current reality on the formal and informal levels, besides revealing the essential inputs that led to its decline.

Therefore, it seeks to prove the hypothesis that our backwardness in terms of future studies lies in the influence of cultural, social and scientific inputs in our thinking patterns that prevented or disrupted our bias to the future. To prove this hypothesis, methodological mechanisms were resorted to approach the inputs and outputs (Input-Output Approach).

The research confirms that the bias towards the future, when it becomes the dominant culture in the Arab cultural, social and scientific environments, then

we can achieve the future we want for our nation, homelands, and ourselves. The desired future does not come by itself, but rather through preparation and advance preparedness for it.

2 إشكالية البحث

لقد بدأت دراسات المستقبلات في الوطن العربي حوالي منتصف القرن الماضي، وقد كان الأخذ بها متأخراً بالمقارنة حتى مع بعض الدول المتأخرة في عالم الجنوب. بيد أنها, مع ذلك, كانت واعدة في وقته. إن التراجع اللاحق والسريع لهذه الدراسات, ولاسيما العلمية الجادة, لم يُؤدِ إلى حرمان العرب من مخرجات توظيف مقاربات قادرة على المساهمة الإيجابية في دفع عمليات التنمية المستدامة, والتجدد الحضاري العربي, إلى الأمام فحسب, وإنما كذلك إلى جعل الانحياز العربي إلى المستقبل أمنية قد تكون صعبة التحقيق.

3 فرضية البحث

تنبع فرضية هذا البحث من مضمون إشكاليته. لذا تتأسس على أن تأخرنا على صعيد دراسات المستقبلات يكمن في تأثير ثمة مدخلات ثقافية واجتماعية وعلمية في أنماط تفكيرنا وبمحصلة تحول, دون انحيازنا إلى المستقبل, أو في الأقل تُعطله.

4 أسئلة البحث

للبرهنة على صحة فرضية البحث أعلاه, ستتم الإجابة عن ثلاثة أسئلة في ثلاث فقرات: الأولى, تتساءل: ما الغاية المنشودة التي رمت دراسات المستقبلات العربية إلى تحقيقها؟ أما الثانية فهي تتساءل: ما نوعية الأهمية التي تحظى بها دراسات المستقبلات على الصعد العربية الرسمية وغير الرسمية؟ وأخيرا تتصرف الفقرة الثالثة إلى التساؤل: ما المدخلات التي تفسر تراجع دراسات المستقبلات عربيا؟

5 منهجية البحث

ينطلق هذا البحث من مقاربة منهجية تتماهى وتلك التي تجعل من العلاقة الطردية, الموجبة أو السالبة, بين المدخلات والمخرجات, مضمونا لها ضمن إطار نظام مفتوح التفاعلات.

1. دراسات المستقبلات العربية: الغاية المنشودة

يُفيد تاريخ هذه الدراسات أنها بدأت في منتصف عقد السبعينيات من القرن الماضي, متأخرة حتى بالمقارنة مع بعض دول الجنوب. ومع ذلك تميزت بدايتها بزخم لا يستهان به, وكانت واعدة في وقته.

ويرى, إبراهيم العيسوي, أن بدايتها اقترنت بنزوع بعض المثقفين العرب إلى التماهي مع واقع الانتشار العالمي للتفكير العلمي في المستقبل وتطبيقاته.[1] ومع أهمية هذا الرأي, إلا أننا نرى أن مخرجات هزيمة العرب في حرب عام 1967 كانت المدخل الأكثر أهمية الذي يفسر هذا التماهي.[2] فهذه المخرجات هي التي أدت إلى أن يبدأ الإحساس, على صعيد نخب عربية, بجدوى توظيف التفكير العلمي في المستقبل, وتطبيقاته العملية, سبيلا للحد من تفاقم التردي العربي كمقدمة للارتقاء الحضاري اللاحق.

ويؤكد ذلك تاريخ البدء بهذه الدراسات، فحسب معلوماتنا, يُعد مؤلف إنطوان زحلان وآخرون, الموسوم بالوطن العربي في عام 2000, والصادر عام 1975, أول إصدار عربي يدعو إلى التعامل مع المستقبل انطلاقا, من فكرة كانت, ولازالت, صحيحة, هي: " إذا لم يخطط العرب لمستقبلهم بأنفسهم سيتولى غيرهم التخطيط (لهم)." [3]

وقد خلص, أنطوان زحلان, إلى رؤية كانت متفائلة في وقته مؤداها "... إذا استغلت الأقطار العربية مواردها الاستغلال الأمثل, فستضيق فجوة الدخل بين الوطن العربي والدول المصنعة إلى 1-2 أو إلى 1-3 في مطلع القرن الحادي والعشرين." [4]

إن تتابع صدور مؤلفات و/أو دراسات مستقبلية عربية مهمة, أدى إلى أن تتوزع هذه الدراسات إلى مستويين: نظرية/تعريفية, وأخرى استطلاعية/ معيارية.[5]

---

[1] انظر: د. ابراهيم العيساوي , "استشراف المستقبل. التجربة المصرية 2020", في : احمد يوسف احمد (محرر) النظام العربي وافاق المستقبل (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع, 2003) ص 108.

[2] إلى ذلك يذهب آخرون أيضا. انظر: مثلا, د. خير الدين حسيب واخرون, مستقبل الامة العربية. التحديات والخيارات (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية, 1988), ص 50.

[3] انظر: محمد ابراهيم منصور, " الدراسات المستقبلية, ماهيتها واهمية توطينها عربيا", ص 44. انظر الرابط التالي : http://politics-dz-com/الدراسات المستقبلية- ماهيتها-واهمية ت/

[4] المصدر نفسه.

[5] ويميز د. وليد عبد الحي , هو الاخر, بين نوعين من الجهود العربية المستقبلية, هي: الجهود التوجيهية, التي اقترنت بالدعوة إلى التفكير في المستقبل والاعداد له والتأكيد على أهميته, وكذلك تلك الجهود, التي عمدت إلى تطبيق المقاربات

فأما عن المؤلفات أو الدراسات النظرية/ التعريفية, فلقد تميز إنجازها, ومنذ البدء, بجهد فردي انصرف أساسا, إلى التعريف بالجوانب المتعددة للحقل المعرفي الذي أضحى يسمى الآن بدراسات المستقبلات. ونرى أن مؤلفات كل من إنطوان زحلان, وقسطنطين زريق, وحسن صعب من بين أهم المؤلفات العربية الرائدة الأولى, ومؤلفيها من بين أبرز أوائل الرواد من المستقبليين العرب.

إن ريادة مؤلفات و/أو دراسات هؤلاء المستقبليين العرب لا تكمن في مجرد التعريف بحقل معرفي لم يكن, في وقته, معروفا عربيا في العموم فحسب, وإنما أيضاً في دعوتها, إلى الانحياز إلى المستقبل سبيلا للارتقاء بالاستجابة العربية إلى مستوى تحديات المستقبل. فهذه الدعوة انطوت, وكما يؤكد محمود عبد الفضيل, على استثارة "...الاهتمام بهموم المستقبل في الضمير العربي في عصر سادت فيه روح السلبية والاستسلام." [6]

ونرى, أن الإدراك بجدوى نشر ثقافة الانحياز إلى المستقبل داخل المجتمعات العربية هو الذي أدى إلى استمرار هذا النوع من المؤلفات والدراسات والبحوث, بل وحتى المقالات, ذات المضامين التعريفية المستقبلية إلى الوقت الراهن. ولا يستطيع المرء نكران التأثير الإيجابي, ولكن بعيد المدى, لمخرجاتها. فهي, مثلما يؤكد, محمد إبراهيم منصور, قد وضعت حصيلتها "... لبنة جديدة في بناء التوجه المستقبلي في الثقافة العربية ..." [7]

وأما عن المؤلفات والدراسات الاستطلاعية/المعيارية, فلقد تميزت بخاصيتين: أولاهما, أن إنجازها قد تم بجهد جماعي ضمن إطار مؤسساتي. وثانيهما, أن بعضها عمد إلى استشراف مستقبلات الوطن العربي على الصعيد الكلي, ومثالها مؤلفات: انطوان زحلان وآخرين, [8] وخير الدين حسيب وآخرين,[9] وسعد الدين إبراهيم وآخرين.[10]

العلمية في الدراسات المستقبلية. انظر كتابه, مناهج الدراسات المستقبلية وتطبيقاتها في العالم العربي (دبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث,2007) , ص ص 121 –120.

[6] انظر: محمود عبد الفضيل, " الجهود العربية في استشراف المستقبل. نظرة تحليلية تقويمية" ,مجلة عالم الفكر, بيروت, العدد 4. , 1988ص 55. في تقيم شامل لدراسات المستقبلات العربية, انظر, المصدر نفسه. وكذلك د.أحمد يوسف احمد, محرر, النظام العربي وافاق المستقبل,(مصدر سبق ذكره, ص ص 20–9. وانظر ايضا, ناصر الطويل, "تاثيرالابعاد المنهجية للدراسات المستقبلية العربية في الحصيلة العلمية والمجتمعية", في: كتاب استشراف للدراسات المستقبلية(الدوحة: المركز العربي للابحاث ودراسات السياسات, 2016), ص ص 104–74.

[7] انظر: محمد إبراهيم منصور, " الدراسات المستقبلية: ماهيتسها وأهمية توطينها عربيا", مصدر سبق ذكره, ص 48.

[8]انظر: انطوان زحلان, الوطن العربي عام 2000 (بيروت: مؤسسة المشاريع والإنماء العربية, 1975).

وبجانب هذا النمط من المؤلفات, هناك نمط آخر منها, تعبر عنه تلك المؤلفات, أو الدراسات القطاعية, التي تناولت مواضيع تتميز بطابعها الجزئي/القطاعي الخاص, كمستقبلات بعض الدول العربية, [11] أو مستقبلات مشاكل داخلية محددة تعاني منها بعض الدول العربية. [12]

وبالإضافة إلى هذه المستويات من المؤلفات العربية المستقبلية, استمر مثلا, صدور مؤلفات أخرى تفيد عناوينها, ولو ضمنا, أنها تستشرف المستقبل, بيد أنها, عمليا, تنصرف إلى البحث في الماضي أكثر من استشرافها لمشاهد المستقبل, ناهيك عن عدم توظيفها لإحدى المقاربات المنهجية المستخدمة في دراسات المستقبلات. ومثالها دراسة معن بشور وآخرين المعنونة: الواقع العربي وتحديات قرن جديد,[13] والصادرة عام 1995. ويتماهى هذا النمط من المؤلفات العربية مع أخرى تعمد إلى نشر مضامين ندوات علمية مهمة عن المستقبل العربي, ولكن من دون أن تحمل عناوينها صراحة كلمة المستقبل. ومثالها دراسة, السيد ياسين وآخرين المعنونة: الوطن العربي بين قرنين, والصادرة عام 2000.[14]

وتفيد المقارنة الكمية بين المؤلفات العربية النظرية/ التعريفية, والاستطلاعية/المعيارية, أن الغلبة لم تزل للنوع الأول منها. فعدد المؤلفات الاستطلاعية/ المعيارية العربية لم يتجاوز, ومنذ ثمانينيات القرن الماضي سبع دراسات لا غير.[15]

2. الواقع العربي الراهن لدراسات المستقبلات

---

[9] انظر:د. خير الدين حسيب واخرون, مستقبل الامة العربية. التحديات والخيارات, مصدر سبق ذكره.

[10] انظر: د.سعد الدين ابراهيم واخرون, صور المستقبل العربي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية, 1982).

[11] انظر: مثلا,محمد ابراهيم منصور, الرؤية المستقبلية لمصر 2030: دراسة إستشرافية (القاهرة: مركز الدراسات المستقبلية, مجلس الوزراء المصري, 2011).

[12] انظر: مثلا, د.محمود عودة, ود.الهام عفيفي, القرية المصرية: الواقع والمستقبل (القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية) ,1966 .

[13] انظر: معن بشور واخرون, الواقع العربي تحديات قرن جديد (عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان, 1995). وكذلك, د. تيسير الناشف, العرب والعالم في القرن القادم (القاهرة: منشورات الطلائع, 1998).

[14] انظر: السيد ياسين واخرون, الوطن العربي بين قرنيين (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية, 2000).

[15] انظر:ناصر الطويل, "تاثير الابعاد المنهجية للدراسات المستقبلية العربية في الحصيلة العلمية والمجتمعية" في: كتاب استشراف للدراسات المستقبلية (الدوحة: المركز العربي للابحاث ودراسات السياسات, 2016), مصدر سبق ذكره, ص 79.

تفيد محدودية المؤلفات أعلاه أن مخرجات ثمة معطيات موضوعية, رسمية وغير رسمية, أدت إلى عدم ذهاب عموم العرب إلى إيلاء دراسات المستقبلات الأهمية التي تستحقها، ومما يدعم ذلك المعطيات الآتية:

- أولا, استمرار الاستشراف العربي الرسمي للمستقبل مقتصرا على عدد محدود من الدول العربية. فمن مجموع الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية (أثنان وعشرون دولة), تأخذ فقط تسع منها, هي: مصر, والسودان, والمغرب, والأردن, والمملكة العربية السعودية, والإمارات العربية المتحدة, والبحرين, وقطر, وسلطنة عمان, تأخذ بمشاريع لاستشراف مشاهد مستقبلاتها, ولأزمنة متباينة, تمتد إلى بضعة عقود قادمة. فبينما يمتد, مثلا, مشروع مستقبل مصر إلى عام 2020, يمتد مشروع مستقبل المملكة العربية السعودية, وكذلك مشروع مستقبل المغرب إلى عام 2030. أما مشروع مستقبل سلطنة عُمان فهو يمتد إلى عام 2040. وعلى خلاف هذه المشاريع, يتميز مشروع مستقبل دولة الإمارات العربية المتحدة في أنه الأبعد عربيا من حيث الزمان. إذ يمتد إلى عام 2071. وغني عن القول أن مدى قدرة إنجاز هذه الدول, وسواها, لمشاريعها المستقبلية يتأثر بمدى ديمومة استقرار واقعها الداخلي. فالعكس يفضي إلى تعطيل هذا الإنجاز بالضرورة . ومثال ذلك المشاريع المستقبلية لكل من ليبيا وسوريا, التي أدت مخرجات الأحداث الداخلية فيهما إلى إلغائها عمليا.
- ثانيا, ندرة استعانة الحكومات العربية بوزارات تتولى مسؤولية استشراف مستقبلات بلدانها. وتعد دولة الإمارات العربية المتحدة, بمثابة الدولة العربية الوحيدة, التي تتوافر على مثل هذه الوزارة, والتي تسمى بوزارة شؤون مجلس الوزراء والمستقبل. [16] ولهذه الوزارة مهام محددة ذات علاقة بالمستقبل, فضلا عن الإشراف على تنفيذ المشروع المستقبلي للدولة, الذي تُشكل خطة الإمارات لعام 2021, ومئوية الإمارات لعام 2071 , جوهره. ويرى, خليفة إبراهيم البقيش, أن وراء إطلاق "... إستراتيجية الإمارات لاستشراف المستقبل ... (يكمن في النزوع) إلى الكشف عن التهديدات والمخاطر المحتملة في سائر القطاعات الحيوية الهامة والعمل على تحليلها, ومن ثم

[16] انظر: كليثم الكعبي, اضاءات في استشراف المستقبل(دبي: مداد للنشر والتوزيع,2019) ,ص14.

تحديد الخطط الاستباقية بعيدة الأمد على سائر المستويات, بغية خلق إنجازات وابتكارات جديدة من نوعها تحقق المنفعة للدولة." [17]

ويُرد اهتمام دولة الإمارات العربية المتحدة بسؤال المستقبل إلى رؤية الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم. فهو يقول "...لقد استلهمنا من تجارب التاريخ أن الدولة التي استشرفت المستقبل واستعدت له جيدا هي التي تقود ...اليوم (أما) الدولة التي تنتظر ما سيحدث (فإنها) ستظل تراوح مكانها في موقع المترقب."[18]

إن ندرة وجود وزارات حكومية في الوطن العربي ذات وظيفة مستقبلية تنسحب أيضا على المراكز البحثية الرسمية, التي تنحصر وظيفتها في تقديم الاستشارات والدراسات المستقبلية للحكومات العربية قبل اتخاذها لقراراتها. وتُعد مصر, وحسب معلوماتنا, الدولة العربية الوحيدة التي تتوافر على أحد هذه المراكز. ففيها يؤدي مركز الدراسات المستقبلية, الذي يرتبط رسميا بمجلس الوزراء المصري, مثل هذه الوظيفة.[19]

- ثالثا, ضآلة اهتمام جل الجامعات العربية, الرسمية والخاصة, بتلك البرامج الدراسية ذات المضامين المستقبلية, التي تسهل تأهيل الإنسان العربي للمشاركة في عملية بناء المستقبل المنشود. وسنتناول سلبية جل الجامعات العربية حيال تسويق الانتماء إلى المستقبل في أدناه.
- رابعا, وكما هو الحال مع جل الجامعات العربية, كذلك هو الحال مع جل مراكز البحوث العربية الخاصة التي تجعل من كلمات دراسات أو بحوث مستقبلية لصيقة بعناوينها الرسمية. فبغض النظر عن بضعة مراكز تحرص على جعل البحث في مآلات المستقبل محور وظيفتها الأصلية, هذا على الرغم من معاناتها من مشاكل مهمة كضعف التمويل الرسمي وغير الرسمي, فضلا عن محدودية عدد المستقبليين العرب, يؤكد, مثلا, إبراهيم العيسوي, أن جل هذه المراكز إما "...معطل لا نشاط له (عمليا), أو أنه ينشط ولكنه يزاول أنشطة لا تمت للمستقبل بصلة جلبا للموارد ...(أو إما) يحوم حول مجال البحث المستقبلي ... (ولكن) دون

---

[17] في تفاصيل الاستراتيجية المستقبلية لدولة الامارات العربية المتحدة, انظر خليفه ابراهيم البقيش, استشراف المستقبل لريادة واستدامة مؤسسات الدولة (دبي: مداد للتوزيع والنشر, 2018), ص ص 170-166.

[18] انظر الرابط التالي:
http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/942f896e-8695-46b0-85f5-e205415bad30

[19] بالتفصيل, انظر الرابط التالي:
http://www.idsc.gov.eg/

أن ينتج بحوثا مستقبلية بالمعنى الحقيقي للكلمة. ومما يزيد الأمر صعوبة, أن هذه المراكز لا اتصال بينها, ولا تحاور حول المستقبل وهمومه." [20]

- خامسا, كذلك محدودة هي الدوريات العربية الجادة والمتخصصة في نشر ما له علاقة بالتفكير العلمي في المستقبل عموما, والعربي خصوصا. وحسب معلوماتنا, تتحدد هذه الدوريات في مجلة دراسات مستقبلية, [21] نصف سنوية, التي يصدرها, ومنذ عام 2006, مركز دراسات المستقبل في جامعة أسيوط المصرية, وكذلك في كتاب استشراف للدراسات المستقبلية,[22] الذي يصدره, ومنذ عام 2016, المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات في الدوحة, قطر. فضلا عن مجلة دراسات مستقبلية, نصف سنوية, التي تصدرها عمادة البحث العلمي في جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.[23]

وبجانب هذه الدوريات الجادة, [24] هناك أخرى رصينة تحمل عناوينها كلمة المستقبل, ولكنها لا تنصرف إلى التخصص فيه حصريا, ومثالها مجلة المستقبل العربي الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت. كما أن هناك دوريات عربية أخرى تحمل عناوين متنوعة تحرص على نشر مواضيع ذات مضامين مستقبلية. ومثالها مجلة السياسة الدولية الصادرة عن مؤسسة الأهرام في القاهرة. وكذلك مجلة لباب للدراسات الاستراتيجية, الصادرة عن مركز الجزيرة للدراسات في قطر.

- سادسا, نادرة هي وسائل الاتصال الجماهيري العربية, كالمجلات العامة [25] والصحف والتلفاز, التي تولي أهمية لنشر ثقافة الانحياز العلمي إلى المستقبل داخل المجتمعات العربية.

---

[20] انظر, ابراهيم العيسوي, مصدر سبق ذكره, ص 120.

[21] انظر الرابط التالي:
http://www.aun.edu.eg/future-studies/html/efc-recomm.htm

[22] انظر الرابط التالي:
http://istishraf.dohainstitute.org

[23] وللمزيد من المعلومات. انظر موقعها :
http://scientific-journal.sustech.edu/Future-Studies/index.php

[24] كذلك تقوم مؤسسات خاصة بإصدار دوريات تعني بدراسات المستقبلات. ومثالها مجلة الدراسات المستقبلية, فصلية, التي يصدرها مركز الدراسات المستقبلية في لبنان.

[25] وحسب معلوماتنا, محدودة هي تلك المجلات العربية, ذات الصدور الشهري, التي تحرص على ديمومة تسويق التفكير العلمي في المستقبل. ومثالها: مجلة الحصاد, الصادرة في لندن. انظر: www.alhasad.co.uk

فنشر مثل هذه الثقافة لا يبدو أنه من بين أولوياتها, هذا على العكس من عدم تواني بعض هذه الوسائل عن تسويق أنماط التفكير ما قبل العلمي في المستقبل, كقراءة الأبراج, أو النجوم وغيرهما.

وعلى الرغم من أن الاهتمام العربي في التفكير العلمي في المستقبل وتطبيقاته العملية, قد أقترن منذ منتصف عقد السبعينيات من القرن الماضي, ببداية واعدة, إلا أن مخرجاته خلال الزمان اللاحق, لا تستوي ونوعية زخم بداياته. لذا لا غرابة في أن هذه المخرجات لم تساعد على إحداث نوع من التغيير الايجابي في أنماط تفكيرنا, ومن ثم سلوكنا حيال المستقبل. فانحياز كثير منا إلى الماضي و/أو الحاضر, في أحسن الأحوال, هو أعمق تجذرا من انحيازنا إلى المستقبل.

واتساقا, مثلا, مع رؤى, هادي الهيتي, وكذلك خير الدين حسيب وآخرون, حول غياب المستقبل عن وعينا و/أو عن تصوراتنا وإبداعنا,[26] "يؤكد سعد الدين إبراهيم, أن تراكم حالات اليأس والإحباط وانتشارهما داخل الوطن العربي, جراء المخرجات السلبية لتجربة الماضي وثقل معطيات الحاضر, جعلت المواطن العربي يرى في الحديث عن المستقبل العربي, وكأنه حديث "...لا يعنيه أو على الأقل يتعلق بأمور, لا طاقة له بها ولا قدرة له عليها, فلا شيء يربط في ذهنه بين الماضي والحاضر والمستقبل ... لذلك يبدو المستقبل (له) وكأنه عالم آخر..." [27]

ولا نرى أن سعد الدين إبراهيم يغالي في قوله هذا. فانحياز جل العرب إلى الماضي و/أو الحاضر, فضلا عن تأثير سياسة النفس القصير في أنماط تفكير وسلوك جلنا, قد حدت من نزوعنا إلى التجديد والارتقاء بمجتمعاتنا إلى مستوى تحديات روح العصر وبمخرجات أدت عمليا إلى استعمار مستقبلنا من قبل تلك القوى الطامعة في موقعنا وثرواتنا. وقد سبق لنا القول أن من لا يصنع مستقبله على وفق رؤيته وإرادته, فأنه يشجع الطرف الآخر على صناعته له, ولكن خدمة لمصالح هذا الطرف.

3. مدخلات تراجع دراسات المستقبلات العربية

وكذلك مجلة كل العرب, الصادرة في باريس. انظر:

www.koul-alarab.com

[26].انظر مثلا ,د. خير الدين حسيب, مصدر سبق ذكره.

[27]انظر: د. سعد الدين ابراهيم , مصدر سبق ذكره, ص 9.

وتتعدد الاجتهادات, التي تتناول المدخلات الكامنة وراء عموم الموقف العربي السلبي من المستقبل. فمثلا يرى, فؤاد زكريا, أن هذا الموقف يُعد حصيلة لأسباب دينية, وحضارية, واجتماعية-سياسية. [28] وكذلك محمد إبراهيم منصور, الذي حددها خماسياً " بغياب الرؤى المستقبلية في العقل العربي, وضعف الأساس النظري, الذي تستند علية الدراسات المستقبلية في التراث العربي, وغياب التقاليد الديمقراطية للبحث العلمي العربي, وقصور المعلومات والقيود المفروضة عليها, وأخيرا غياب الأطر المؤسسية المتخصصة بالدراسات المستقبلية"[29]. وعندنا يكمن هذا الموقف في حصيلة التأثير العميق في الذات العربية لمدخلات أساسية متعددة, ولعل أبرزها يكمن في المدخلات الثقافية, والاجتماعية, والعلمية.

1.3 المدخلات الثقافية

للثقافة تأثير مهم في تحديد رؤية المجتمعات لأبعاد الزمان. هذا جراء معناها, وكذلك وظيفتها. وتتعدد الرؤى في شأن معنى الثقافة. ومع ذلك, نرى أنها التعبير عن مفهوم يحتضن جميع السمات الروحية والفكرية والمادية, التي يتميز بها أحد المجتمعات عن سواه, أو حتى شريحة اجتماعية عن سواها. وبهذا المعنى, تؤدي الثقافة وظيفة محددة تكمن في إعانة المجتمع على التفاعل مع معطيات الحياة انطلاقا من رؤية شاملة, وأنماط سلوكية محددة. ولدورها في التمييز بين المجتمعات تُجسد الثقافة ائتلافا فريدا يجمع بين الروحي والمادي, وبين اللغة والكلمة, وبين العمل والإنسان, وبين كل هذا والثقافة كأرض ووطن. ومن هنا تصبح الثقافة, من حيث المنظور الاجتماعي, بمثابة أسلوب للحياة.
وعندنا, نحن العرب، تُعد رؤيتنا الثقافية, للمستقبل حصيلة لتأثير أربعة مدخلات أساسية متفاعلة, هي: العقلية الشاعرية, والموقف من تراث الماضي, والثنائيات المتقابلة, فضلا عن التثقيف الديني في شأن المستقبل.

1.1.3 العقلية الشاعرية

---

[28] انظر ; فؤاد زكريا, التفكير العلمي, (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, 1078). وانظرأيضا: نواف وبدان الجشعمي, دراسات استشراف المستقبل ودورها في دعم اتخاذ القرار بدولة الامارات العربية المتحدة (الشارقة: مركز بحوث الشرطة, 2017), ص ص 156-155.

[29] انظر:محمد ابراهيم منصور," الدراسات المستقبلية: ماهيتها وأهمية توطينها عربيا" مصدر سبق ذكره, ص ص 49-53

تُفيد الخبرة التأريخية, أن الشعر, بوصفه أحد الفنون العربية الأصيلة, يحظى عند أغلب العرب بقيمة تكاد تكون خاصة وممتدة عبر الزمان. وعلى الأكثر تعود جذور هذه القيمة العليا إلى عصر الجاهلية الثانية قبل الإسلام. فآنذاك كان للشعر وظيفة مهمة. فالشاعر الجاهلي كان بمثابة الناطق بلسان قبيلته. إذ كان بأمجادها يُفاخر, ولمعاركها وانتصاراتها يُؤرخ.[30] ولنتذكر هنا شعراء المعلقات السبع على سبيل المثال.

ولم تتغير قيمة الشعر بعد حلول الإسلام. فماعدا عصر الخلفاء الراشدين, استخدم الشعر في العصور اللاحقة لأغراض متعددة تراوحت بين السياسة والحب وما بينهما. وقد برز خلال هذه العهود شعراء استمرت الذاكرة العربية تحتفظ بأسمائهم وأشعارهم. وتكفي الإشارة, مثلا, إلى الأخطل, والفرزدق, وبشار بن برد, وأبي نؤاس, وأبي العتاهية, والمتنبي, ...الخ

ونتيجة لتراكمات تأثير الشعر في الوجدان العربي تكونت تدريجيا عقلية شاعرية عربية لم تتأسس على مجرد الحنين السلبي إلى الماضي فحسب, وإنما أيضا على التطلع إلى المستقبل على وفق رؤية خيالية. وغني عن القول أن الحنين إلى الماضي عندما يكون طاغيا, والمستقبل عندما يكون خياليا, فإنه يفضي, وبالضرورة, إلى دفع الإنسان إلى الانطلاق من ذهنية معادية للتخطيط الإستراتيجي, هي الذهنية الارتجالية, التي تعطل قدرة الإنسان على التكيف الكفؤ مع استحقاقات حاضر متغير ومستقبل مفتوح ومتعدد الاحتمالات.

ومن هنا تتناقض العقلية الشاعرية, في معظم أبعادها, مع العقلية الواقعية, التي تُعد مدخلا أساسيا للعقلية المستقبلية. وهذا التناقض يؤكده أيضا قسطنطين زريق.[31] ومرد هذا التناقض هو أن العقلية الواقعية, وعلى خلاف العقلية الشاعرية, تتأسس أصلا على القناعة بقدرة العقل اليقظ المتطور والفاعل, رائدا وضابطا وحاكما, على الابتكار والإبداع, وبضمن ذلك تجنب الأضرار الناجمة عن التعامل مع الواقع وتحدياته تعاملا يتغافل عن حقائقه الموضوعية.

فالعقلية الواقعية تدعو إلى ضرورة رؤية ما كان, وما هو كائن, على نحوٍ موضوعي وليس على وفق ما يتخيله المرء أو يتمناه. ومما يدعم هذه العقلية هو اتجاهها إلى جعل المنهج العلمي أساسا لها في إدراكها للواقع, هذا فضلا عن البعد الأخلاقي الكامن فيها. فالعقلانية والأخلاق أمران متكاملان, سيما

---

[30] انظر: لبيب عبد القادر, الحضارات, بيروت: دار المشرق, 1986, ص 237.

31 .والذي يؤكد ايضا أن العقلية الواقعية تشكل المدخل للعقلية المستقبلية. انظر: قسطنطين زريق, نحن والمستقبل (بيروت: دار العلم للملايين, 1977), ص ص 210- 205

وأن الأولى لا تستطيع أن تكون مدخلا للإبداع إلا إذا تزامنت مع التزام أخلاقي بها. فهذا الالتزام هو الذي يجعلها, أيضا, مدخلا مهما للاقتراب من الحقيقة.

2.1.3 الموقف من تراث الماضي

تؤكد تجربة التاريخ أن الإنسان, ومن ثم المجتمع , لا يستطيع الهروب من الماضي, سواء كان هذا خاصا يتعلق به, أو عاما يتعلق بمجتمعه أو أمته. فالماضي, بإيجابياته وسلبياته, يشكل جزءا مهما من تاريخ كل إنسان, وكل مجتمع. لهذا لا يمكن نسيانه أو تناسيه.

ومع ذلك, يُعبر التوجه نحو إسقاط الماضي على الحاضر والمستقبل إسقاطا شاملا عن رؤية خاطئة؛ لأن مثل هذا الإسقاط يفضي بالضرورة إلى رؤية مجمل أبعاد الزمان وكأنها تستوي, مجازا, والبساط الممتد, الذي لا يتحرك, ولا يتموج, ومن ثم إدراك الزمان وكأنه زمان راكد. إن مثل هذه الرؤية تلغي العلاقة الطردية الموجبة بين التغيير وحركة التاريخ. ولنتذكر أن مخرجات هذه الحركة هي التي تفضي إلى التغيير, الذي يجعل بدوره الزمان متجددا. كما أن هذه الرؤية تتناسى أن اقتران المجتمع بحالة الركود هي التي تحول دون التجديد والارتقاء في الفكر والعمل, وبمخرجات تؤدي إلى إدامة واقع التراجع والتخلف الحضاري.

وبالقدر الذي يتعلق بنا, نحن العرب, فغني عن القول أننا أمة كانت, في زمان مضى, تصنع التاريخ والحضارة. ومع أن الإنسان لا يستطيع التنكر لأهمية هذا الماضي, ولا إلى مناهضة سياسة توظيفه في الحاضر من أجل تأجيج الانحياز إلى المستقبل, إلا أن الإسراف في هذا التوظيف, لإضفاء سمة الشرعية على سياسات يُراد تبنيها في الحاضر, لا بد أن يؤدي إلى نتائج عكسية تؤدي إلى تكريس الانحياز إلى الماضي, بديلا عن الانحياز إلى المستقبل. وتؤكد التجربة أن الحنين إلى الماضي من قبل تلك الأمم, التي كانت تصنع الحضارة, أو التي شاركت في صناعتها, ثم تراجعت حضاريا, يُعد كابحا مهما يعطل انحيازها إلى المستقبل, خصوصا عندما لا تأخذ بمقاربة إبداعية تجعل من الماضي مدخلا داعما لصناعة المستقبل المرغوب فيه.

3.1.3 الثنائيات المتقابلة

يرى محمد عابد الجابري, أن الفكر العربي المعاصر يتميز بالعديد من الإشكاليات التي أفضت مخرجاتها على قضايا الواقع العربي "... طابعا إشكاليا طابع الوضع المأزوم." [32] ويتجلى هذا الوضع المأزوم, من جانب, في انتشار رؤى تدرك الأشياء على وفق صورة حدية قوامها ثنائية الشيء ونقيضه ولا غير, ومثالها ثنائيات: الخير/الشر, القطرية/القومية, الحب/الكراهية, الماضي/المستقبل, الأصالة/الحداثة ...الخ.

إن إدراك الأشياء بهذه الآلية الذهنية ينطوي بالضرورة على رفض لفكرة التعدد والتنوع الكامنة في أصل الأشياء, هذا فضلا عن رفض فكرة الوسطية والاعتدال. ومن هنا تكمن خطورتها, سيما وأنها تختزل الواقع وتلغي الإمكانات وتحصر الخيارات بين ما يجب القبول به وما يجب رفضه, هذا فضلا عن أنها تتناسى أن الحياة مثلما تنفتح على شتى الألوان, كذلك هو المستقبل. فهو الآخر ينفتح على شتى المشاهد, بعضها مستبعد الوقوع, وبعضها الآخر ممكن و/أو محتمل الوقوع و/ أو مرغوب فيه.

وتفيد تجربة الواقع العربي أن تمسك دعاة هذه الرؤية أما بهذا الشيء أو نقيضه لم يؤد إلى ديمومة الصراع الفكري بين فئات اجتماعية فحسب, وإنما أيضا إلى ديمومة تشرذمها بين هذا أو ذاك وبمخرجات اجتماعية سلبية نجمت عن مثل هذا التشرذم.

4.1.3 التثقيف الديني في شأن المستقبل

تجدر الإشارة إلى أن الأديان السماوية تتوافر على رؤية متماثلة للزمان. فهي تدركه بمثابة المسار الطولي الذي يبدأ بالخلق وينتهي بالرجوع إلى الخالق, وبمعنى أن الزمان, في الأديان السماوية, له بداية ونهاية, وأن بدايته تكمن في لحظة الخلق, أما نهايته فهي تقترن بيوم القيامة. وهي بهذا تتناقض مع رؤية الأديان الوثنية للزمان, التي أدركته دائريا, وبالتالي لا أول له ولا آخر.

وبالقدر الذي يتعلق بالدين الإسلامي, فغني عن القول أنه يحظى بموقع خاص في الثقافة العربية-الإسلامية. فإضافة إلى أنه كان وراء نشوء الكيان السياسي العربي, فإنه يشكل مع اللغة العربية والتاريخ العربي أهم المقومات الأساسية التي تُشكل الهوية العربية. ومع ذلك, تتباين الرؤى العربية حول موقف الدين الإسلامي من التفكير العلمي في المستقبل وتطبيقاته العملية بين رؤى داعمة, وأخرى مناهضة له.

[32] انظر: د. محمد عابد الجابري, إشكاليات الفكر العربي المعاصر(بيروت مركز الوحدة العربية, 1990), ص10.

فأما عن الرؤى الداعمة, فهي تؤكد أن جوهر الدين الإسلامي لا يغفل الدعوة إلى الاستبصار والوعي بالمستقبل, ولا يلغي كذلك النزوع الإنساني إلى الإعداد له وأخذ الحيطة واتخاذ الأسباب واغتنام الحاضر لضمان غد أفضل في الدنيا والآخرة." [33] ومن هنا, لا يقترن المستقبل في الإسلام بالمقبل من الزمان في الحياة الدنيا فحسب, وإنما بالآخرة أيضا.

غني عن القول, أن هذه الرؤى الداعمة تستند على ما يأخذ به القرآن الكريم. فالقرآن الكريم مليء بالآيات الداعية لإمعان النظر والإعداد للمستقبل بمشاهده المتعددة. ومن ذلك قوله تعالى: " يَا أَيُّها الذين أمنُوا ٱتقُوا الله ولْتنظُر نَفس مَا قَدَمَت لغدٍ." [34] الذي يدعوا إلى الاستعداد للمستقبل واستشراف المستقبل حتى يتم تجنب مفاجآت الزمان. وكذلك قوله سبحانه وتعالى: "...وَتِلكَ الأيامُ نُدَاوِلُها بَين النّاسِ." [35] الذي يؤكد على فكرة عدم بقاء الأمور ثابتة على حالها. وقوله كذلك سبحانه وتعالى: "إن الله لا يُغيرُ مَا بِقومٍ حتى يُغيّروا مَا بِأنفسهم", [36] الذي يدعو إلى الأخذ بالتغيير. وكذلك قوله سبحانه وتعالى: "... فَمَن يعمل مِثْقَالَ ذَرة خَيرّا يَره, وَمَن يَعمَل مثقال ذَرة شَرّا يَرَه..."," [37] الذي ينطوي على دالة واضحة تفيد أن المستقبل صناعة بشرية.

واتساقا مع دعوة القرآن الكريم إلى عدم إهمال التفكير في المستقبل, جاءت أحاديث نبوية أكدت على جدوى الاستعداد للمستقبل ابتداءً من الحاضر. ومثالها قوله عليه الصلاة والسلام: "من استقبل الأمور أبصر, ومن استدبر الأمور تحير", وكذلك قوله: "من لم يحترز من المكائد قبل وقوعها لم ينفعه الأسف عند هجومها." [38]

وفي ضوء تكامل رؤية المستقبل في عموم المنظومة الإسلامية , يؤكد, فؤاد بلمودن, أنها تعتمد نهجا محددا يتسلسل في خطوات محكمة, وكالآتي:"

الأولى: قراءة الواقع المعاش ودراسة مفرداته وإدراك أبعاده عن كثب بشكل تحليلي.

---

[33] انظر مثلا, د. محمد بريش, المستقبل مجال العمل, مصدر سبق ذكره.

[34] سورة الحشر: الآية 18

[35] سورة ال عمران: الآية 140

[36] سورة الرعد: الآية 11

[37] سورة زلزلة : الآية 7&8.

[38] نقلا عن: عبد الرحمن عبد اللطيف مشوع, استشراف المستقبل في الاحاديث النبوية, رسالة ماجستير في الحديث النبوي الشريف مقدمة إلى كلية الدراسات العليا في الجامعة الاردنية, عمان, نيسان 2005.انظر الرابط التالي:
http://riyadhalelm.com/researches/3/391_mostaqbl.pdf

الثانية: قراءة الماضي قراءة تاريخية واعية بتتبع حركة السنن التاريخية والاجتماعية وفاعليتها في تحليل علمي وموضوعي...

الثالثة: استشراف (صور) المستقبل بعملية تركيبية تربط بين حركة الواقع القائم والسنن التاريخية والاجتماعية من خلال استحضار الماضي والاهتداء بتجاربه ومواعظه..." [39]

وعلى الرغم من أن الرؤية الداعمة للتفكير العلمي في المستقبل تجد استجابة وانتشارا, وهو الأمر الذي يؤكده نمو عدد الدراسات الإسلامية ذات العلاقة بهذا التفكير, إلا أن هذا التحول الإيجابي لم يُؤد إلى الارتقاء بواقع التفكير العربي–الإسلامي في المستقبل إلى المستوى الذي يمهد لبناء إنسان ينحاز إلى المستقبل تفكيرا وسلوكا. ومما ساعد على ذلك نقص المعرفة لدى كثير من المسلمين عن علاقة الدين الإسلامي بالمستقبل.

وأما عن الرؤى الرافضة للتفكير العلمي في المستقبل وتطبيقاته العملية, فهي تؤكد أن معرفة الإنسان لا تتعدى حدود الماضي والحاضر. أما معرفة المستقبل فهي من الأمور, التي استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمها. ومن هنا دعا أصحاب هذه الرؤية إلى الانشغال بالواقع دون المتوقع ومن ثم تجنب الانشغال بالمستقبل, وذلك انطلاقا من أن الذي " لم يقع لا يستحسن الخوض فيه", بل إن الغلو أفضى بهم إلى رؤية استشراف المستقبل وكأنه رجم بالغيب وتعدٍ على المقدسات الإلهية.

إن تماهي كثير من المسلمين مع هذه الرؤية الرافضة لاستشراف المستقبل أدى إلى انتشار نمط من التفكير في عموم الدائرة الإسلامية ألغى دور الإرادة الإنسانية في الحياة الدنيوية.

ويُفند المستقبلي, والمفكر العربي–الإسلامي, محمد بريش, هذا النمط من التفكير قائلا: " إن الكد والجد والأخذ بالأسباب جاء بها الكتاب والسنة كأمر". كما أنه, في موضع آخر, دعا إلى دفع القدر بالقدر, ورأى أنه نوعان: "أحدهما دفع القدر الذي قد انعقدت أسبابه بأسباب أخرى من القدر تقابله فيمتنع وقوعه, كدفع العدو بقتاله. أما النوع الثاني فهو دفع القدر الذي وقع واستقر بقدر آخر يرفعه ويزيله, كدفع قدر المرض بالتداوي, ودفع قدر الإساءة بقدر الإحسان."[40]

إن تأثيم النظر صوب المستقبل, الذي هو نوع من التفكير المعوج والتدين المغشوش, يتناقض مع أصل الخلق وهدف الخلق, ويتقاطع مع نزوع الإنسان عضويا للتفكير في مستقبله. وهو فضلا عن ذلك يخلط

---

[39] انظر : فؤاد بلمودن, الدراسات المستقبلية. الاسس الشرعية والمعرفية والمنهجية لاستشراف المستقبل(الدار البيضاء. بيروت, المركز الثقافي الغربي,2013), ص 61.

[40] انظر: محمد بريش, "المستقبل مجال الفعل" انظر الرابط التالي:

www.alukah.net/web/brich/0/1272

بين مضامين مفهومين مختلفين بالضرورة, هما استشراف المستقبل, والعلم بالمستقبل. وعندنا [41] يعبر مفهوم استشراف المستقبل عن ذلك الجهد الإنساني الذي يعمد إلى توظيف المنهجية العلمية سبيلا لاستشراف احتمالات, أو مشاهد, تطور الحاضر باتجاه المستقبل, وذلك على وفق ما يقوم به الإنسان, أو لا يقوم به من أفعال في الحاضر, ويكتفي إما بتحديد هذه الاحتمالات و/أو ترجيح بعضها, ومن ثم تسويقها داخل المجتمع للرأي العام و/أو إلى صناع القرار.

وبهذا المعنى شبه المتفق عليه لا ينطوي استشراف المستقبل على أي جهد للتنبؤ القاطع بالمستقبل, بمعنى العلم به. فالعلم بالمستقبل يبقى حقا ذلك الأمر الذي تنفرد به الذات الإلهية. لذا نتفق مع, المهدي المنجرة, في قوله : " إن هناك فرقا شاسعا بين الغيب والذي هو من علم علام الغيوب سبحانه وحده, وبين مفهوم المستقبل كما يوظفه الخبراء في مجال الدراسات المستقبلية. فمفهوم المستقبل حسب هؤلاء هو انعكاس على الزمن لآثار ونتائج أعمالنا أو عدم عملنا اليوم. ومن ثم, فمن الواضح من المضمون والدلالة, أن الأمر لا يتعلق لا بنبوءةٍ ولا بكهنوت ". [42]

2.3 المدخلات الاجتماعية

تتباين المجتمعات المعاصرة في نوعية انحيازها إلى المستقبل. ويعود هذا التباين, في جانب مهم منه, إلى تأثير مجمل معطيات بيئاتها الاجتماعية. فنوعية هذا التأثير هو الذي يُفضي إما إلى الحيلولة دون هذا الانحياز أصلا, أو إلى الحد منه, أو إلى الأخذ به. وينسحب ما تقدم أيضا على المجتمعات العربية. وتكمن الأسباب في مخرجات التأثير الممتد لمعطيات واقع عربي, يُعد حصيلة لتراكم تطور تاريخي طويل أفرزته جدليات داخلية وخارجية, يتميز بتوتراته الحادة وإشكالياته المتعددة العميقة والممتدة في الزمان. لذا لا غرابة في أن هذا الواقع لم يساعد على إحداث نوع من التغيير في أنماط تفكيرنا, نحن العرب, ومن ثم سلوكنا حيال المستقبل. فالمجتمعات العربية استمرت, قدر تعلق الأمر بموقفها من المستقبل, تحتضن ثلاثة مجاميع اجتماعية, متباينة الاتساع , تتبنى أيضاً ثلاث رؤى متناقضة.

فأما عن المجموعة الأولى, فهي تنطلق من رؤية فكرية – ثقافية قوامها القياس على ما سبق فقط, وبدالة سحب ما كان من أنماط الحياة الماضية على ما هو كائن وكذلك على ما سيكون, ومن ثم رؤية

---

40 انظر: بحثنا " دراسات المستقبلات: رؤية في إشكالية المفهوم ومقاربات التوظيف" في: كتاب استشراف للدراسات المستقبلية (الدوحة:المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات, 2016), ص 174.

[42] نقلا عن يحيى اليحياوي, " المستقبل في فكر مهدي المنجرة" في: كتاب استشراف للدراسات المستقبلية(الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات, 2016), ص 239 .

الماضي بمثابة البديل للحاضر والمستقبل. ومما ساعد على أن يكون الحاضر والمستقبل متقوقعا عند الماضي استمرار شريحة اجتماعية عربية واسعة في إدراكها للثقافة الماضوية وكأنها السبيل الوحيد والصالح للتعامل مع أبعاد الزمان.

ويشخص بدقة, أحمد أبو زيد, سلبيات هذا الإدراك بقوله: "ليس من شك في أن التفكير الماضوي القانع بما هو قائم ومتوارث... هو بالضرورة تفكير سلبي وانعزالي يخشى الانفتاح على العالم حتى لا يتعرض لرياح التغيير التي تحمل التقدم الذي يهدد بالاندثار الكثير من ثوابت الماضي التي خبرتها مجتمعاتنا وارتاحت إليها رغم تعارضها مع حقائق الحياة الراهنة. [43]

إن هذه الرؤية الفكرية–الثقافية, التي تفضي مخرجاتها إلى أن تكون كابحا مهما لكل نزوع يتطلع إلى تشوف المستقبل, تجد في التأثير الكامن لمعطيات سلبية يتميز بها الواقع العربي المدخل الداعم لاستمرارها وتجذرها. ومثالها انتشار ثقافة تحتكر الحقيقة, وتلغي التجدد, وتنفر من التجريب, وتستريب بالمخالفة, وتقصي الآخر, وتأخذ بالاتكالية, فضلا عن الارتجال في التعامل مع معطيات الحاضر. لذا لا مناص من ضرورة أن يتصالح العقل العربي مع المستقبل حتى يكون الاستشراف, والرؤى المستقبلية والتخطيط الاستراتيجي, عادة ذهنية إبداعية– ابتكارية, له.

وأما عن المجموعة الثانية, فهي تتأسس على رؤية فكرية – ثقافية مختلفة عن الأولى, سيما وأنها تجعل من تأمين مستلزمات العيش في الحاضر وتغليب الاهتمام به على سواه, نبراسا لها . ويعبر, مثلا, الكاتب السعودي ,عائض بن عبد الله القرني في كتابه الموسوم: لا تحزن ,عن هذه الرؤية بقوله: "...اترك المستقبل حتى يأتي, لا تسأل عن أخباره, ولا تنتظر زحوفه, لأنك مشغول باليوم..." [44] . إن مثل هذه الرؤية تجد انتشارا في الشارع العربي. فعندما تسأل أحد المواطنين العرب, هنا وهناك, عن موقفه من المستقبل, فإنه قد يقول بجواب يؤكد أن اهتمامه ينصب على الحاضر أساسا. ومن المحتمل جدا أن تكون الإجابة كالاتي: "يا عمي أنت تتكلم عن بكره (أي عن الغد) خلينا نبقى في يومنا هذا."

وقد ساعد على انتشار هذه الرؤية مدخلان مهمان: أولهما, تجذر تنشئة اجتماعية خاطئة مفادها أن المستقبل هو قدر محدد سلفا ومن ثم هو شأن لا تستطيع الإرادة الإنسانية التدخل في كيفية صناعته على وفق ما تريد. أما المدخل الثاني, فهو يفيد بنزوع عربي رسمي استمر يتطلع, في العموم, إلى

---

[43] انظر, أحمد ابو زيد, " الحاجة إلى استشراف المستقبل", ص9. انظر الرابط التالي:
http://www.boloch.com.asteraha/and0w8n/m

[44] انظر, عائض بن عبد الله القرني, لا تحزن (الامارات: مكتبة الصحابة,2002), ص ص, 17–16.

أشغال المجتمع بإشكاليات ثانوية ومتجددة سبيلا لإبعاد اهتماماته عن إشكالياته الأساسية, التي استمرت بدورها دون معالجات جذرية حقيقية, ومن ثم إشغاله بمعطيات واقع حاضره. وهكذا أصبحت الإدارة بالأزمة هي الصيغة المفضلة لدى جل صناع القرار العرب في تعاملهم مع مجتمعاتهم, وليس الإدارة بالأهداف التي هي إحدى سبل الارتقاء الحضاري.

إن ما تقدم لم يُؤد, اجتماعيا, إلى انتشار سمات الاغتراب, واللامبالاة, واليأس, والإحباط, بين شرائح اجتماعية عربية واسعة فحسب, وإنما أيضا إلى تراجع الشعور بالمسؤولية, في العموم, حيال حاجة المجتمع العربي إلى الارتقاء الحضاري. وغني عن القول أن مثل هذا التراجع لا يسهل الأخذ بالتفكير في المستقبل واستشراف مشاهدة, سيما وأن مثل هذا التفكير يتطلب أصلا توافر الشعور بالمسؤولية حيال المجتمع والإشكاليات, التي يعاني منها, وإيجاد الحلول الجذرية لها.

إن الانتشار الواسع لهاتين المجموعتين داخل المجتمعات العربية أفضى, في العموم, إلى استمرار اختزال الحاضر في الماضي, واختزال المستقبل في الحاضر, هذا في الوقت الذي تتطلب معطيات التفكير في المستقبل, انطلاقا من الحاضر, نقله إلى دائرة العمل الواقعي والجاد, خدمة للارتقاء الحضاري اللاحق.

أما عن المجموعة الثالثة, فهي تعبر عن رؤية نخب عربية, لازالت محدودة الانتشار, تتميز بانحيازها إلى المستقبل, تفكيرا وسلوكا, وتعمد إلى نشره داخل مجتمعاتها. ويُعبر, محمد بريش, عن غاية توجهاتها بقوله إنها ترمي إلى دفع الإنسان العربي: "...إلى العدول عن الفرار إلى جهة الماضي احتماءً وأدبارا عن مواجهة الواقع... وإلى اجتناب الميل المطلق جهة المستقبل تمنيا وحلما." [45] ويجد هذا التوجه دعما من قبل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم من خلال الندوات التي تعقدها عن دراسات المستقبلات في الوطن العربي, وكذلك عبر نشاطات وحدة الدراسات المستقبلية المرتبطة بها. وآخر هذه الندوات, حتى الآن, هي تلك التي تم عقدها في تونس عام 2014 تحت عنوان: الدراسات المستقبلية في الوطن العربي الحال والمال.[46]

---

[45] انظر: محمد بريش" حاجتنا إلى علوم المستقبل", مجلة المسلم المعاصر, مؤسسة المسلم المعاصر والمعهد العالمي للفكر الإسلامي, العدد61, خريف 1991, ص 38.

[46] في تفاصيل هذه الندوة. انظر,

البيان الختامي–التوصيات– لندوة الدراسات المستقبلية. انظر الرابط التالي:

http://www.projects-alecso.org/

3.3 المدخلات العلمية

تؤكد تجارب مجتمعات معاصرة أن التقدم العلمي لبعضها أفضى إلى اضطراد ارتقائها الحضاري, ومثالها اليابان, وسنغافورة وماليزيا. وبالمقابل أدى التخلف العلمي لبعضها الآخر إلى ديمومة تراجعها الحضاري, ومثالها تلك الدول المتأخرة والمتخلفة في عالم الجنوب. والسؤال: أين نحن العرب من هاتين التجربتين؟

وللإجابة, نكتفي بقول فؤاد زكريا, الذي يؤكد فيه: "لو كان خط التقدم ظل متصلا منذ نهضتنا العلمية القديمة, حتى اليوم, لكنا قد سبقنا العالم كله وإلى الحد الذي يستحيل معه أن يلحق بنا الآخرون."[47] ولا يخطئ, فؤاد زكريا, في قوله هذا. فبعد أن كان العرب أمة تتخذ من مخرجات العلوم وإنجازات الحضارة سبيلا لصناعة المستقبل, أخذت, بعد سقوط بغداد عام 1258م, وسقوط الأندلس عام 1492م, بالتخلف والتراجع. وقد أدت مخرجات واقع تأخر بعض أقطارنا العربية, وتخلف بعضها الآخر, ليس إلى أن نكون خارج صناعة التاريخ فحسب, وإنما أيضا إلى دخولنا القرن الحادي والعشرين بواقع يتميز, في العموم, بالتردي وبضمنه تردي واقعنا العلمي.

صحيح أن ثمة إنجازات كمية وكيفية مهمة قد تحققت عربيا, هنا وهناك, على الصعيد العلمي, بيد أن هذه الإنجازات لازالت في العموم "مجرد تقدم دون تغيير" كما يُسمي, انطوان زحلان, أحد مؤلفاته[48] . ويؤكد الواقع العربي, صحة هذا التشخيص. فمخرجات هذه الإنجازات لم تُؤد إلى الحد من انتشار الأمية العلمية و/أو الجاهلية التكنولوجية النسبية فحسب, ولم تستطع أيضا الحد من تراجع انتشار الأخذ بالعقلية الواقعية/الموضوعية في مجتمعاتنا العربية, وهو التراجع الناجم عن تحجيم دور مكونات الطبقة المتوسطة في العديد من الدول العربية, ولاسيما أصحاب الكفاءات والمهارات وسواهم, وذلك عبر أدوات تتنافي أصلا مع حقوق الإنسان . وتوكد التجربة الإنسانية أن ثمة مجتمعات لم تستطع الارتقاء حضاريا إلا نتيجة لمخرجات جهد طبقتها المتوسطة, هذا لأن سواها ينطلق من اهتمامات أخرى مختلفة. ولنتذكر أن الأغنياء حريصون على تنمية ثرواتهم, وأن الفقراء مشغولون بتأمين متطلبات حياتهم اليومية.

---

[47] انظر: د. فؤاد زكريا, مصدر سبق ذكره, ص 8.

[48] انظر: انطوان زحلان, العرب وتحديات العلم والثقافة, تقدم من دون تغيير (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. 1999).

وفي ضوء واقع علمي متخلف, في العموم, والذي يؤكده ضآلة الإنفاق العربي على البحث والتطوير. وفي ضوء واقع هذا الإنفاق, والذي لم يتجاوز 0.3 % [49] من الناتج المحلي العربي الإجمالي في عام 2004 وبما يعادل 1.7 مليار دولار فقط, لا يستطيع المرء القول أن مخرجاته قد ساعدت على دعم النزوع نحو استشراف المستقبل العربي. فموقف عموم العملية التعليمية في الوطن العربي حيال الزمان ينطوي على تشويه له. فهي تقف عند الماضي و/أو الحاضر, وتنسى, أو تتناسى, المستقبل. ولا تلغي بعض الاستثناءات الإيجابية, هنا وهناك, هذا الواقع.

ومما يساعد على ذلك أمران: أولهما, انتفاء تلك الآليات, التي تدفع إلى بناء أجيال عربية تنحاز إلى المستقبل وتعمل من أجله. أما الأمر الثاني, فهو أن مجتمعنا العربي لم يستطع , كما يؤكد, محمد عابد الجابري, "...بلورة نظام تربوي مبدع تنحو فيه التربية نحو المستقبل, ويؤمن كذلك ديمومة معادلة الأصالة والحداثة." [50]

ونرى أن عدم قدرة مؤسساتنا العلمية على التخلص من تلك الآليات, التي تنتمي إلى ماضي المستقبل أفضت إلى بناء إنسان اعتاد, في العموم, على مجرد الاكتفاء بتلقي العلم, هذا في الوقت الذي تحرص العديد من الدول المعاصرة على بناء إنسان يفكر فيتساءل, ويتساءل ليحتار, ويحتار ليبحث, ويبحث لينتج ويبدع سبيلا لأن يكون أهلا للانحياز إلى المستقبل بدلا عن الانحياز إلى الماضي و/أو الحاضر.

إن عدم اهتمام جل الجامعات العربية بموضوع المستقبل يتجسد في استمرار تجاهلها إدخال هذا الموضوع المهم ضمن برامجها الدراسية, سواء على صعيد الدراسات الأولية و/أو العليا. ويستثنى من ذلك, وحسب معلوماتنا, بعض الجامعات في ثمان دول عربية فقط, هي: الجزائر,[51] ومصر, والمغرب, والعراق, والأردن, وسوريا، والمملكة العربية السعودية, والكويت. والمؤسف حقا ذهاب

---

[49] انظر,محمد سيد ياقوت, "البحوث العلمية في العالم العربي غير مجدية" انظر الرابط التالي:
http://www.saaid.net/Minute/197.htm

[50] انظر, د.محمد عابد الجابري, نحو فلسفة تربوية عربية– الفلسفة التربوية ومستقبل الوطن العربي.انظر الرابط التالي:
https://www.kutubpdfbook.com/book/تحميل-كتاب-نحو-فلسفة-تربوية-عربية-الفلسفة-التربوية-ومستقبل-الوطن-العربي-لـ-عبد-الله-عبد-الدائم/read

[51] لقد كان معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية في جامعة الجزائر, الذي صار يسمى لاحقا بكلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية, أول مؤسسة اكاديمية عربية ادخلت التفكير العلمي في المستقبل كمادة دراسية ضمن برنامجها التدريسية. وقد كان ذلك في عام 1984 .انظر التفاصيل في الرابط التالي:
http://univ-alger3.dz/fspri/

جامعة عراقية, هي الجامعة المستنصرية, حتى إلى إلغاء أحد هياكلها, الذي كان يهتم بدراسات المستقبلات, هو المعهد العالي للدراسات المستقبلية.

إن هذه الجامعات المحدودة عددا تُقدم لطلبتها مادة دراسية واحدة فقط, على مستوى الدراسات الأولية أو مستوى الدراسات العليا, تتعلق بالتفكير العلمي في المستقبل, فضلا عن إتاحة الفرصة لإنجاز رسائل الماجستير و/أو أطاريح للدكتوراه متخصصة في مستقبلات مواضيع محددة, علما أن مجموع المنجز منهما, على صعيد سائر الجامعات العربية, كان محدودا. إذ بلغ, خلال الفترة بين (2005-1995), نحو(107) أطروحة للدكتوراه, و(99) رسالة للماجستير, وبمجموع يساوي (206) لا غير.[52]

ويجد الواقع السلبي الراهن لدراسات المستقبلات في جامعات عربية تفسيره في تأثير مجموعة معوقات مهمة, يحددها وليد عبد الحي بالآتي: [53]

- أولا, عدم توافر جامعات عربية على الموارد المالية و/أو البيانات الضرورية لإنجاز الدراسة المستقبلية, الأمر الذي جعل القدرة على الإنجاز متعذرا.
- ثانيا, النقص الشديد في الموارد البشرية, وخصوصا أصحاب التأهيل الأكاديمي في دراسات المستقبلات .
- ثالثا, افتقاد تقاليد العمل الأكاديمي العربي لثقافة "ورشات العمل", خصوصا وأن هذه الدراسات تحتاج في أغلب مراحلها إلى العمل الجماعي.
- رابعا, اتجاه حكومات عربية إلى تقييد الباحث في هذه الدراسات بما يتماهى وحدود أفضلياتها.

كذلك دفع عدم تشجيع مؤسساتنا العلمية, إطلاق العقل إلى الأمام, ومد الرؤية إلى آفاق أوسع تتجاوز المنظور والمعلوم إلى اللامنظور واللامعلوم, إلى تجذر الانحياز إلى الماضي و/أو إلى الحاضر في الوجدان العربي, ومن ثم حد, في الأقل, من عملية بناء ذلك الإنسان العربي الذي يتوافر على إرادة الارتقاء الحضاري إلى مستوى تحديات الزمان والاستجابة لها. ولنتذكر أن الانحياز إلى ما كان , أو ما هو كائن يُعد بمثابة النقيض للانحياز إلى المستقبل.

---

[52]انظر, فؤاد بلومودن, مصدر سبق ذكره, ص35.

[53]انظر, د.وليد عبد الحي, "معوقات الدراسات المستقبلية في الجامعات العربية." في افاق المستقبل, العدد 3, يناير/فبراير 2010.

كما أن عدم توافرنا على قدرة إيجاد حلول دائمة لإشكالية الأصالة/الحداثة, المتجذرة في مجتمعاتنا, جعل من عملية التنمية البشرية العربية تعاني من الإخفاق في الأقل. وبهذا الصدد, تؤكد التجربة أن التنمية البشرية هي المدخل الأساس لسائر أنماط التنمية الأخرى, ومن ثم هي السبيل لبناء الإنسان صانع التغيير الحضاري. وبدون هذا الإنسان, يضحي كل جهد يسعى لإحداث التغيير ضائعا بالضرورة .

الخاتمة

على الرغم من أن المعرفة المؤكدة بمشاهد المستقبل تبقى الآن ولزمان قادم خارج نطاق القدرة الإنسانية, إلا أن هذه الحقيقة ينبغي أن لا تكون عائقا يعطل التفكير العلمي, الإبداعي والابتكاري وبعيد المدى, في المستقبل والمشاهد التي تقترن به. ولنتذكر أن الإنسان, وخصوصا صاحب الرؤية والإرادة, يستطيع, وهو يعيش في زمان الحاضر, صناعة المستقبل الذي يريد لذاته, و/أو لوطنه, و/أو لأمته, أو المشاركة في جهد جماعي لصناعة هذا المستقبل. وتؤكد ذلك تجارب التنمية الناجحة في دول في عالم الجنوب.

وكذلك لنتذكر أيضا أن الانحياز إلى المستقبل والعمل من أجله هو الذي يصنع المستقبل المرغوب فيه, ولا سواه. لذا عندما يصبح الانحياز إلى المستقبل بمثابة الثقافة السائدة في البيئة الثقافية والاجتماعية والعلمية في المجتمع العربي, عندها يضحي, كما يؤكد المستقبلي العربي, محمد إبراهيم منصور,: "...ممكنا توسيع قاعدة المهمومين ببناء فراديس المستقبل لا الباكين على أطلال الفراديس المفقودة."

وعليه, غني عن القول أن من يتطلع إلى صناعة المستقبل الأفضل من الماضي والحاضر, عليه العمل من أجله عبر الإعداد والاستعداد العلمي المسبق، لا أن ينتظر حلوله لأن مثل هذا المستقبل لن يأتي من تلقاء ذاته.

المراجع

القرآن الكريم

أبو زيد, أحمد" الحاجة إلى استشراف المستقبل". انظر الرابط:
Ow8n/mhttp://www.boloch.com.asteraha/and

إبراهيم, سعد الدين وآخرون, صور المستقبل العربي ,بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية, 1982.

البقيش, خليفه إبراهيم, استشراف المستقبل لريادة واستشراف مؤسسات الدولة, دبي: مداد للتوزيع والنشر, 2018.

الجابري, محمد عابد, إشكاليات الفكر العربي المعاصر, بيروت: مركز الوحدة العربية, 1990.

, نحو فلسفة تربوية عربية- الفلسفة التربوية مستقبل الوطن العربي. انظر الرابط:
https://www.kutubpdfbook.com/bookتحميل-كتاب-نحو-فلسفة-تربوية- عربية-الفلسفة-التربوية- ومستقبل -الوطن

الجشمي, نواف بدران, دراسات استشراف المستقبل ودورها في دعم اتخاذ القرار بدولة الامارات العربية المتحدة, الشارقة: مركز بحوث الشرطة,2017.

أحمد, يوسف أحمد, النظام العربي وافاق المستقبل. التجربة المصرية, عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع, 2003.

الرمضاني, مازن إسماعيل, "دراسات المستقبلات: رؤية في إشكالية المفهوم ومقاربات التوظيف", في كتاب استشراف للدراسات المستقبلية, الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات, 2016.

, " المتغير العلمي ومشهد ديمومة التردي والتراجع العربي" . مجلة الحصاد/لندن, العدد 54, اذار 2016.

, " رؤية في اشكالية مفهوم المستقبل, مجلة الحصاد/لندن, العدد 59, اب 2017.

, " دراسات المستقبلات ومستلزمات الانجاز الذاتية, مجلة الحصاد/لندن, العدد81, حزيران 2018.

ومحمد وائل القيسي" نحو تبني ثقافة الانحياز إلى المستقبل ودراسات المستقبلات في الوطن العربي" لباب للدراسات الاستراتيجية والإعلامية, الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات, العدد2- مايو/ايار2019.

الطويل, ناصر, " تأثير الأبعاد المنهجية للدراسات المستقبلية العربية في الحصيلة العملية والمجتمعية", في: كتاب استشراف للدراسات المستقبلية, الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات, 2016.

العيساوي, إبراهيم, " استشراف المستقبل. التجربة المصرية 2020 " في: احمد يوسف احمد, النظام العربي وافاق المستقبل, عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع, 2003.

الكعبي, كليثم, إضاءات في استشراف المستقبل, دبي: مداد للنشر والتوزيع, 2019.

الناشف, تيسير, العرب والعالم في القرن القادم, القاهرة: منشورات الطلائع, 1988.

اليحياوي, يحيى, " المستقبل في فكر مهدي المنجره" في: كتاب استشراف للدراسات المستقبلية, الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات, 2016.

بريش, محمد "المستقبل مجال الفعل", انظر www.alukah.net/web/brich/0/1272

," حاجتنا إلى علوم المستقبل" مجلة المسلم المعاصر, مؤسسة المسلم المعاصر والمعهد العالمي للفكر الإسلامي, العدد 61, خريف 1991.

بلمودن, فؤاد, الدراسات المستقبلية. الأسس الشرعية والمعرفية والمنهجية لاستشراف المستقبل, الدار البيضاء, بيروت: المركز الثقافي العربي, 2013.

زحلان, انطوان, الوطن العربي عام 2000, بيروت: مؤسسة المشاريع والانماء العربية, 1975.

,العرب وتحديات العلم والثقافة, تقدم من دون تغيير, بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية,1999.

زكريا, فؤاد, التفكير العلمي, الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, 1978.

عبد الحي, وليد, مناهج الدراسات المستقبلية وتطبيقاتها في العالم العربي, دبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث, 2007.

" معوقات الدراسات المستقبلية في الجامعات العربية" افاق المستقبل, العد 3. يناير/فبراير. 2010 .

عبد الفضيل, محمد" الجهود العربية في استشراف المستقبل. نظرة تحليلية تقويمية, مجلة عالم الفكر , بيروت, العدد4 ,1988.

منصور, محمد ابراهيم " الدراسات المستقبلية, ماهيتها وأهمية توطينها عربيا". انظر الرابط: http://politics-dz.com الدراسات المستقبلية ماهيتها وأهمية ت/

الرؤية المستقبلية لمصر 2020: دراسة استشرافية, القاهرة: مركز الدراسات المستقبلية, مجلس الوزراء المصري,2011.